المبحث الثانى
دلائل عصمته فى بدنه من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية

المراد بعصمة النبى فى بدنه هنا، عصمته من القتل، أما الأمراض والآفات الغير منفرة فلا. لأن رسول الله وسائر الأنبياء والرسل، من البشر. وهم بحسب ظواهرهم يطرأ عليها ما يطرأ على سائر البشر من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام 0

وهذا كله ليس بنقيصه فيهم لأن الشئ إنما يسمى ناقصاً بالإضافة إلى ما هو أتم منه، وأكمل من نوعه، وقد كتب الله عز وجل على أهل هذه الدار كلها، بأنهم فيها يحيون، وفيها يموتون، ومنها يخرجون. فالمرض والشكوى منه والتداوى، والإحساس بالحر والبرد، وإدراك الجوع والعطش، والغضب والضجر، والتعب والضعف والموت. كل ذلك سمات البشر كلها، والتى لا محيص عنها، وقد جرى على خير خلق الله عز وجل من أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام السمات السابقة، كما ابتلاهم الله عز وجل بضروب من المحن، وذلك من تمام حكمته عزوجل لحكم منها ما يلى :

1- ليتحقق بامتحانهم بشريتهم، ويرتفع الالتباس من أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم، ضلال النصارى بعيسى ابن مريم، وضلال اليهود بعزيز 0

2- ليظهر شرفهم، ورفعة درجاتهم، كما قال عز وجل: **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم**0[1]

3- تسلية لأممهم، وتذكرة لهم ليتأسوا بهم فى البلاء، ويستخرجوا حالات الصبر، والرضى، والشكر، والتسليم، والتوكل ونحو ذلك مما وقع منهم 0

4- فى امتحانهم محو لهنات فرطت منهم أو غفلات سلفت لهم – إن صح التعبير – ليلقوا الله عزوجل طيبين مهذبين، وليكون أجرهم أكمل، وثوابهم أوفر وأجزل[2]0

وكل ذلك تحقيقاً لما أجمله القرآن الكريم **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**[3] وقوله سبحانه **ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**[4] وهذا ما فصله وبينه النبى فى أحاديث عدة منها ما يلى :

---

1 () الآية 31 محمد 0
2 () الشفا 2/178، 204 بتصرف، وذكر حكم أخرى للبلاء فى المصدر نفسه 2/207 – 210 0
3 () الآية 31 محمد 0
4 () جزء من الآية 2 الملك 0

1- عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه[1] قال : قلت : يا رسول الله! أى الناس أشد بلاءً قال: **"الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبلتى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة"**[2]0

1- وقوله قال الله تعالى : **"إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك"**[3]0

2- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله : **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة"**[4]0

3- وعن أبى سعيد الخدرى وعن أبى هريرة عن النبى قال : **"ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم – حتى الشوكة يشاكها – إلا كفر الله بها من خطاياه"**[5]0

ومن أجل كل ما سبق كانت شدة المرض والوجع بالنبى بدليل :

1- عن عائشة رضى الله عنها قال : ما رأيت أحداً أشد عليه الوجع من رسول الله 0[6]''

---

1 () صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة 2/452 رقم 2038، وتذكرة الحفاظ 1/22 رقم 9، والرياض المستطابة ص 91، وتجريد أسماء الصحابة 1/218، والاستيعاب 2/606 رقم 963 0

2 () أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الزهد، باب ما جاء فى الصبر على البلاء 4/520 رقم 2398 وقال : حسن صحيح، والنسائى فى سننه الكبرى كتاب الطب، باب أى الناس أشد بلاء 4/352 رقم 7481، وابن ماجة فى سننه كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء 2/503، 504 رقم 4023، والحاكم فى المستدرك 1/100 رقم 121 وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وقال : وله شواهد كثيرة 0

3 () جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار 9/215 رقم 2865 من حديث عياض المجاشعى رضى الله عنه 0

4 () أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الزهد، باب ما جاء فى الصبر على البلاء 4/520 رقم 2399 وقال : حسن صحيح 0

5 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المرضى، باب ما جاء فى كفارة المرض 10/ 107 رقمى 5641، 5642، ومسلم (بشرح النووى) كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه 8/372 رقم 2573 0

6 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المرضى، باب شدة المرض 10/115 رقم 5646، ومسلم (بشرح النووى) كتاب البر

2- وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : دخلت على رسول الله وهو يوعك فقلت : يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديداً. قال : **"أجل إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم.** قلت : ذلك بأن لك أجرين. قال : **أجل، ذلك كذلك"**[1]0

3- وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : دخلت على رسول الله وهو موعوك، عليه قطيفة، ووضعت يدى عليها، فوجدت حرارتها فوق القطيفة، فقلت : ما أشد حر حماك يا رسول الله ، فقال : **"إنا كذلك يشدد علينا البلاء، ويضاعف لنا الأجر"** قال أبو سعيد : يا رسول الله، من أشد الناس بلاء؟ قال : **الأنبياء** قال : ثم من؟ قال : **العلماء**، قال : ثم من؟ قال : **"ثم الصالحون، كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها، ويبتلى بالقمل حتى تقتله، ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء"**[2]0

خصوصية عصمة النبى فى بدنه من القتل :

إذا كانت الأحاديث النبوية السابقة تؤكد على أن رسول الله جرى عليه ما جرى على غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من سمات البشر التى لا ميحص عنها، وابتلى كما ابتلى غيره من الأنبياء بضروب المحن، إلا أنه اختص بعصمة بدنه الشريف من القتل بدليل قوله تعالى :

1- **وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين**0[3]

2- وقال سبحانه : **الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم**

والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرضى، 8/369 رقم 2570 0

1 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء 10/115 رقم 5648، ومسلم (بشرح النووى) نفس الأماكن السابقة فى الحديث السابق برقم 3571 0

2 () أخرجه الحاكم فى المستدرك 1/99 رقم 119، 4/342 رقم 7848 وصححه على شرط مسلم فى كلا الموضعين، ووافقه الذهبى وقال : وله شواهد كثيرة، وأخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء 2/504 رقم 4024 0

3 () الآية 91 البقرة 0

رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين0[1]

فتأمل قوله تعالى : **قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل**

وقوله سبحانه : **قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم** إن الخطاب فى هاتين الآيتين موجه من رسول الله كما أمره ربه عز وجل إلى قتلة الأنبياء والمرسلين من بنى إسرائيل، وتحدى لهم بأوضح بيان، بأنهم وإن وقع منهم قتل الأنبياء من قبل رسول الله بإذن الله تعالى، فهم مع رسول الله مهما حاولوا قتله، فلم ولن يفلحوا، لأن الله عز وجل عصم بدنه الشريف من القتل، كما عصم قلبه وعقله وَخُلُقَه من كل ما يمسهم بسوء، وخصوصية عصمة بدنه الشريف من القتل مستفادة من الآيتين السابقتين فى تكرار قوله : "من قبل" و"من قبلى" فتأمل 0

3- وقال عز وجل : **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** 0[2]

روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : "كان النبى يحرس حتى نزلت هذه الآية : **والله يعصمك من الناس** فأخرج رسول الله رأسه من القبة، فقال لهم : **"يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى عز وجل"**[3] وهذه الآية الكريمة، وإن كانت مدنية النزول على قول الأكثرين من المفسرين، إلا أنها لا تعنى أن خصوصية عصمة رسول الله فى بدنه من القتل لم تكن إلا بعد الهجرة النبوية، كلا! لما يلى :

أولاً : لاحتمال تكرار نزول الآية مرة بمكة، ومرة بالمدينة :

ومن تمسك برواية أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها السابقة، فلا حجة له فيها لاحتمال أن السيدة عائشة لم تخبر عن أمر شهدته، وإنما حدثت عن

---

1 () الآية 183 آل عمران 0

2 () الآية 67 المائدة 0

3 () أخرجه الترمذى فى سننه كتاب تفسير القرآن، باب سورة المائدة 5/234 رقم 3046 وقال : حديث غريب، وحسنه الحافظ فى فتح البارى 6/96 رقم 2885، وقال : اختلف فى رفعه ووقفه، وأخرجه الحاكم فى المستدرك 2/342 رقم 3221 وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، والبيهقى فى دلائل النبوة 2/184، وأبو نعيم فى دلائل النبوة 1/198 رقم 151 من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه 0

من شهـد الحادثة، وقـت نزول الآية فى مكة من الصحابة رضى الله عنهم ويؤيد هذا الاحتمـال، الاختـلاف فى رفع الحديـث ووقفه كما قال الحافظ ابن حجر[1] وأيضاً : اختلاف ألفـاظ روايـات حديـث عائشـة تشير إلى أنها حدثت أولاً عن أمر سمعته من غيرها، كما فى حديث الترمذى – وهذا هو ما ذكرت فيه نزول الآية، وهو محتمل احتمالاً قوياً أن يكون فى مكة، فلا حجة فيه لمن يتمسك بمدنية الآية لأنه كما "لا يخفى ليس بنص فى المقصود" كما قال الإمام الألوسى فى تفسيره[2]0

وهى رضى الله عنها تحدثت مرة أخرى عما رأته وشاهدته، وكانت فيه مع رسول الله ، بدليل رواية الإمام أحمد "وهى إلى جنبه"[3]0

ثانياً : يحتمل أن قول رسول الله السابق فى حديث عائشة – على فرض أن هذا القول كان بالمدينة، إخبار عن حال ثابتة له منذ كان بمكة، ولما رأى حرص أصحابه على حمايته، وانتدابهم لحراسته فى بلد نزل فيه مهاجراً قبل أن يستقر؛ ذكرهم بأنه لا حاجة له بحراستهم فى المدينة أيضاً، لأن الله تعالى قد عصمه منذ كان فى شدة الأزمات والشدائد بمكة[4]0

ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى يحرس، وكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجالاً من بنى هاشم حتى نزلت هذه الآية : **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**[5] فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه فقال : **يا عم إن الله قد عصمنى من الجن والإنس"**[6] وللحديث شاهد من رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : "كان رسول الله إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه حتى نزلت :

---

1 () ينظر : تخريج حديث عائشة السابق 0

2 () روح المعانى 6/199 0

3 () أخرجه أحمد فى المسند 6/141،وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد 6/135 فى الصحيح طرف منه، ورواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف أهـ 0

4 () ينظر : محمد رسول الله لفضيلة الشيخ محمد عرجون 2/476 0

5 () الآية 67 المائدة 0

6 () أخرجه الطبرانى وفيه النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/17، وقال ابن كثير فى تفسيره 3/145 حديث غريب، قلت : يزيل غرابته ما يعضده من الآيات والأحاديث الصيحة الواردة فى معناه أهـ 0

﴿والله يعصمك من الناس﴾ فذهب ليبعث معه فقال : **"يا عم إن الله قد عصمنى لا حاجة لى إلى من تبعث"**[1]0

وللحديث شاهد ثانى من رواية أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : "كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه، فلما نزلت هذه الآية : **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾**... الآية، ترك رسول الله ﷺ الحرس"[2] فهذه الروايات السابقة مع معنى الآية الواردة فيها يقتضى أنها نزلت بمكة أيام الشدائد والأزمات التى كانت تعترض رسول الله ﷺ وهو يدعو قومه، فقوله تعالى : **﴿والله يعصمك من الناس﴾** أى بلغ أنت رسالتى، وأنا حافظك وناصرك، ومؤيدك على أعدائك، ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك[3] والعباس فى حراسته لرسول الله ﷺ على ما جاء فى رواية أبى سعيد الخدرى، هو بلا شك أحد فتيان بنى هاشم الذين كان يبعثهم أبو طالب كل يوم لحراسة رسول الله 0ﷺ

وذهاب الحافظ ابن حجر فى الفتح[4] إلى أن ملازمة العباس لرسول الله ﷺ إنما كانت بعد فتح مكة عدول منه – رحمه الله تعالى – عما تلهمه الآية، ويقتضيه حال الدعوة فى مستهلها من حاجة الرسول ﷺ إلى العصمة من الناس ليتمكن من إبلاغهم ما أمره الله بتبليغهم إياه، واستدلاله على ما ذهب إليه بما ورد فى الأخبار من أن رسول الله ﷺ حرس فى بدر، وفى أحد، وفى الخندق، وفى رجوعه من خيبر، وفى وادى القرى، وفى عمرة القضاء، وفى حنين، وهذا يقتضى عنده نزول الآية متراخية عن وقعة حنين[5] غير مسلم به من وجهين :

الوجه الأول : أن ملازمة العباس للرسول ﷺ ومداومته عليها كانت معلومة للناس بمكة قبل الهجرة، فقد كان من لا يعرف شخص رسول الله ﷺ من العرب، ولم يسبق له أن رآه، ويعرف عمه العباس، فإنه يدل على رسول الله ﷺ بأنه الرجل الذى يجلس مع العباس بن عبد

---

1 () ذكره ابن كثير والسيوطى فى تفسيرهما عن ابن مردويه، وقال ابن كثير : هذا حديث غريب وفيه نكارة، فإن هذه الآية مدنية، وهذا الحديث يقتضى أنها مكية أهـ ينظر : تفسير القرآن العظيم 3/145،والدر المنثور 2/298 0

2 () أخرجه الطبرانى فى الأوسط 4/21 رقم 3510، والصغير 1/149 وفيه عطية العوفى وهو ضعيف كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/17، ورواه ابن كثير أيضاً فى تفسيره 3/144 عن ابن مردويه، والحديث تعضده الآيات والأحاديث 0

3 () تفسير القرآن العظيم 3/143 0

4 () فتح البارى 13/232 رقم 7231 0

5 () المصدر السابق فى الأماكن السابقة نفسها 0

المطلب[6] ومما يؤكد ملازمة العباس لرسول الله بمكة قبل الهجرة أيضاً – وهى بلا ريب ذات هدف سام أهم ما فيها حراسة رسول الله ، من أعدائه – أن العباس لم يترك رسول الله وحده فى بيعة العقبة الكبرى التى تمت بين رسول الله ، وبين الأنصار، وكان أول متكلم فى تلك الليلة، وفيما قاله دليل على أنه كان يحرس رسول الله ويمنعه من أذى قومه قال : "يا معشر الخزرج... إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عز من قومه، ومنعة فى بلده... فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه، وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده"[2]0

فحراسات رسول الله بمكة من قبل أهله وعشيرته، كانت لأسباب عامة، الغرض منها حماية سيدنا محمد وهو منهم فى الذروة لرد اعتداء قريش عنه، ومنع طغيانها عليه 0

الوجه الثانى : أن حراسته بعد الهجرة كانت جميعها لأسباب خاصة.

وباستقصاء الأسباب الخاصة لحراسة رسول الله فى المدينة، تراها :

1- إما فى أول مقدمة المدينة كما فى حديث عائشة رضى الله عنها عند البخارى أنها قالت : "كان النبى سهر، فلما قدم المدينة قال : **ليت رجلاً من أصحابى صالحاً يحرسنى الليلة،** إذ سمعنا صوت سلاح، فقال : من هذا؟ فقال : أنا سعد بن أبى وقاص جئت لأحرسك، فنام النبى 0[3]"

---

[1] () ينظر : من أمثلة ذلك ما رواه أحمد فى مسنده 3/460 – 462، والطبرانى فى الكبير 19/ 87، 88، والبيهقى فى دلائل النبوة 2/444 – 446، والطبرى فى تاريخه 2/360، 361، وابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) 2/56 نص رقم 448 0

[2] () أخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) 2/58 نص رقم 450، وأحمد فى مسنده 460 – 462 ورجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 6/45، وأخرجه الأئمة الطبرانى، والبيهقى، والطبرى، ثلاثتهم من طريق ابن إسحاق، فى الأماكن السابقة نفسها 0

[3] () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله 6/95 رقم 2885، ومسلم (بشرح النووى) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد 8/195 رقم 2410 0

2- أو أن تكون أسباب حراسته أموراً داخلية خاصة به، كما فى حراسة أبى أيوب رضى الله عنه[1] لرسول الله ليلة بنائة بصفية بنت حى بن أخطب رضى الله عنها[2]وهو عائد من خيبر، فقد بين أبو أيوب سبب حراسته لرسول الله حين سأله عن حراسته له فقال أبو أيوب : "خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها، وزوجها، وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك" فقال رسول الله : **"اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى"**[3]0

3- أو أن تكون وقائع حربية كما فى حراسته فى بدر وأحد والخندق وحنين[4] وغيرها من المشاهد الحربية 0

وهذه جميعها أمور يجب أن يحرس فيها الإمام والقائد، ورسول الله كان يعلم قطعاً فى هذه الحراسات الخاصة أنه معصوم، ولكنه طلبها أو أقرها تشريعاً لأمته لتقتدى به فى ذلك، ولتتعلم الأخذ بالحذر، والاحتراس من العدو، وحراسة السلطان أو القائد خشية القتل،وفى هذا يقول الحافظ ابن حجر : "وإنما عانى النبى ذلك مع قوة توكله، للاستنان به فى ذلك، وقد ظاهر بين درعين مع أنهم كانوا إذا اشتد البأس كان أمام الكل. وأيضاً فالتوكل لا ينافى تعاطى الأسباب، لأن التوكل عمل القلب، وهى عمل البدن، وقد قال : **"اعقلها وتوكل"**[5]0

---

1 () صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة 6/22 رقم 5714، والاستيعاب 4/1606 رقم 2866، ومشاهير علماء الأمصار ص 34 رقم 120، والإصابة 1/405 0

2 () لها ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص 139 رقم 681، والاستيعاب 4/1871 رقم 4005، وأسد الغابة 7/168 رقم 7063، والرياض المستطابة ص 315، 316 0

3 () أخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) 3/349 رقم 1571، والحاكم فى المستدرك 4/30 رقم 6787 وصحح إسناده، ووافقه الذهبى 0

4 () حديث حراسته [illegible]

5 () فتح البارى 6/96، 97 رقم 2880، والحديث أخرجه الترمذى فى سننه كتاب صفة القيامة 4/576 رقم 2517 وقال : حديث غريب، وأخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/390 من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه، وله شاهد من حديث عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله : [illegible]

وقال القرطبى : "ليس فى الآية – يعنى **والله يعصمك من الناس** ما ينافى الحراسة، كما أنه ليس فى أعلام الله نصر دينه وأظهاره، ما يمنع الأمر بالقتال، وإعداد العدد"[1]0

---

[1] () ينظر الجامع لأحكام القرآن 6/242 – 244 0

وبهذين الاحتمالين السابقين تبقى مكية الآية قائمة، ومما يؤكد القول بمكيتها ما قاله لابنته زينب رضى الله عنها[1] لما قامت تغسل عنه التراب الذى نثره أحد سفهاء قريش، وهى تبكى؛ خاطبها : بقوله : **"لا تبكى يا بنية، فإن الله مانع أباك"**[2] فهذا يدل بما لا مجال للريب فيه أنه كان على يقين من عصمة الله عز وجل له من جميع ما يكيدون ويدبرون 0

وأيضاً فإن القول بمدنية هذه الآية مع ما فى أسلوبها من شدة الأمر بالتبليغ، والتحريض عليه، والتوعد على التقصير فيه، يتنافى مع ما كان عليه رسول الله فى المدينة من عزة ومنعة، مكنته من التبليغ ونشر الدعوة بقوة، ونقلها إلى خارج المدينة التى هو فيها سيد الموقف وبيده المبادأة متى أرادها 0

بل كيف يتأتى القول أن تنزل عليه آية العصمة من الناس فى المدينة، وهو للعصمة أحوج فى مطلع الرسالة منه عليها فى آخرها؛ وسورة المائدة من آخر القرآن تنزيلاً"[3]0

هذا فى الوقت الذى تأييده بالمؤمنين ظاهر فى قوله تعالى : **هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين**[4] فلا معنى لأخباره على القول بمدنية آية العصمة – بعصمته من الناس – وقد عَرَفَه قبلاً أنه مؤيد بنصره تعالى، وبالمؤمنين 0

وتعليل ابن كثير نكارة حديث جابر بن عبد الله فى بعث أبى طالب حُراساً مع رسول الله بأن "هذه الآية مدنية، وهذا الحديث يقتضى أنها مكية"[5] غير مسلم به لأن دعواه مدنية هذه الآية لم يقم عليها دليلاً سوى ما

---

1 () لها ترجمة فى : أسد الغابة 7/131 رقم 6964، والاستيعاب 4/1853 رقم 3360، والإصابة 4/312 0

2 () أخرجه ابن إسحاق مرسلاً عن عروة بن الزبير رضى الله عنه، ينظر : السيرة النبوية لابن هشام 2/29، 30 نص رقم 414، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى 1/124، والطبرى فى تاريخه 2/344، والبيهقى فى دلائل النبوة 2/350 كلاهما من طريق ابن إسحاق عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر، وكذا أورده ابن كثير فى البداية والنهاية 3/120، والسهيلى فى الروض الأنف 2/223 وللحديث شاهد من حديث عائشة رضى الله عنها أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة 2/349، 350 0

3 () فتح القدير للشوكانى 2/26 0

4 () الآية 71 الأنفال 0

5 () تفسير القرآن العظيم 3/145 0

يظهر من أنها موجودة فى نظم التلاوة فى سورة مدنية. ووجود الآية فى سورة مدنية، لا يستلزم كونها مدنية، لأن كثيراً من الآيات المكية، وضعت توقيفاً منه فى سورة مدنية، وكثيراً من الآيات المدنية وضعت توقيفاً فى سورة مكية 0

وبهذا أيضاً يُردَّ على الإمام القرطبى فيما ذهب إليه، من أن حديث ابن عباس – الذى سبق أن سقناه – يقتضى مكية هذه الآية، والسورة مدنية بإجماع[1]. فمدنية السورة لا يمنع من وجود آية أو آيات مكيات فيها 0

ودعوى أبى حيان فى البحر : "أن مكية هذه الآية يجعلها أجنبية بالنسبة لما قبلها وما بعدها لأنها فى قصة اليهود والنصارى"[2] غير مسلمة أيضاً لأن وجود آية بين آيات منسجمة معها فى المعنى منسقة فى الربط والتناسب، لا يلزمه اتحاد زمن نزول هذه الآيات، إذ كثيراً ما تكون الآية مكية، لكنها مناسبة لمعانى آيات مدنية اقتضت وضعها بينها توقيفاً من رسول الله 0[3]

"لأن المدار فى سمو نظم القرآن الكريم لم يقم على أساس التوافق الزمنى أو المكانى فى نزول الآيات، وإنما المدار فيه على انسجام المعنى، واتساقه فى نظم التلاوة، ولو تباعد زمن النزول واختلف مكانه، وهذا هو سر التوقيف فى ترتيب الآيات ونظمها فى وضع التلاوة. فلا بدع أن تكون آية أو آيات نزلت فى مطلع الرسالة وشدائدها، ثم وضعت توقيفاً بين آيات نزلت فى أواخر ما نزل من القرآن مادام المعنى فى الآيات منسجماً متسقاً، يأخذ بعضه بحجز بعض، وهذا كثير فى القرآن الحكيم، وهو من دلائل الإعجاز"[4]0

قلت : ويؤكد مكية الآية، أو تكرار نزولها، وبالتالى خصوصية عصمة النبى فى بدنه الشريف من القتل، ما ورد فى القرآن الكريم من آيات كلها مكية تخاطبه بأنه محفوظ بعناية الله عز وجل، وسيكفيه المستهزئين من قومه، ومن هذه الكفاية عصمة بدنه الشريف من القتل. قال تعالى : **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**[5] وقال سبحانه : **أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه**[6] وقال تعالى : **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون**

---

1 () الجامع لأحكام القرآن 6/244 0
2 () البحر المحيط 3/530 0
3 () ينظر : آيات عتاب المصطفى [illegible]
4 () محمد رسول الله [illegible]
5 () الآية 48 الطور 0
6 () الآية 36 الزمر 0

ويمكر الله والله خير الماكرين[1] وهذه الآيات الكريمات السابقة كلها مكية، وهى واضحة الدلالة على بيان اختصاص النبى بعصمته من القتل 0

ولم لا! ورب العزة يخاطبه فى شدة المحن والابتلاء فى مكة المكرمة بقوله تعالى : **فاصبر لحكم ربك** أى اصبر على أذاهم، ولا تبالهم **فإنك بأعيننا** أى بمرأى منا، وتحت كلاءتنا. وما تلك العناية الإلهية إلا خطاب للنبى ، بأنه معصوم من ربه عز وجل من الناس"[2] وجاء التأكيد لعصمته من الناس، بالأمر الربانى بالمضى فى دعوتة، وعدم المبالاة بأعداءه من المشركين، حيث سيكفيهم إياه سبحانه القائل **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزءين**[3] وهذه الآية المكية نظير الآية المدنية على ما ذهب إليه بعض المفسرين : **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**0[4]

ففى الآيتين **والله يعصمك من الناس** و**إنا كفيناك المستهزءين** خطاب من رب العزة لنبيه ومصطفاه بالعصمة من الناس.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى قوله تعالى : **إنا كفيناك المستهزءين** قال : "المستهزءين : الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بنى أسد بنى عبد العزى، والحارث بن غيطل السهمى، والعاص بن وائل السهمى. فأتاه جبريل – عليه السلام فشكاهم إليه رسول الله ، فأراه أبا عمرو الوليد بن المغيرة، فأومأ جبريل إلى أبجله[5] فقال : ما صنعت شيئاً، فقال : كفيتكه، ثم أراه الحارث بن غيطل السهمى، فأومأ إلى بطنه، فقال : ما صنعت شيئاً، فقال : كفيتكه، ثم أراه العاص بن وائل السهمى، فأومأ إلى أخمصه[6]، فقال : ما صنعت شيئاً، فقال :

---

1 () الآية 30 الأنفال 0

2 () ينظر : تفسير القرآن العظيم 7/414 0

3 () الآيتان 94، 95 الحجر 0

4 () الآية 67 المائدة 0

5 () الأبجل : عرق فى باطن الذراع، وقيل : هو عرق غليظ فى الرجل فيما بين العصب والعظم. ينظر : النهاية فى غريب الحديث 1/98 0

6 () الأخمص من القدم : الموضع الذى لا يلصق بالأرض منها عند الوطء. المصدر السابق 2/76 0

كفيتكه، فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة، وهو يرش نبلاً له[1] فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فعمى، فمنهم من يقول : عمى كذا، ومنهم من يقول : نزل تحت شجرة، فجعل يقول : يا بنى لا تدفعون عنى، قد هلكت أطعن بشوك فى عينى، فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث، فخرج فى رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث بن غيطل، فأخذه الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه[2] مِنْ فِيه، فمات منها، وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً حتى دخل فى رجله شبرقه[3] حتى امتلأت منها فمات"[4]0

وللحديث شاهد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مر النبى على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون فى قفاه، ويقولون : هذا الذى يزعم أنه نبى، ومعه جبريل، فَغَمَزَ جبريل بإصبعه، فوقع مثل الظفر فى أجسادهم، فصارت قروحاً، حتى تَنُنُوا، فلم يستطيع أحدٌ أن يدنو منهم، فأنزل الله : **إنا كفيناك المستهزءين**0[5]

---

1 () النبل : السهام العربية، والمراد أن الرجل الخزاعى يرمى بسهام له للتدريب على الرمى. ينظر : النهاية فى غريب الحديث 5/ 8، 9 0

2 () الخراءة بفتح الخاء وكسرها : هو التخلى والقعود للحاجة. النهاية فى غريب الحديث 2/17 0

3 () الشبرق : نبت حجازى يؤكل وله شوك. المصدر السابق 2/395 0

4 () أخرجه الطبرانى فى الأوسط 5/173، 174 رقم 4986 وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/47 رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه محمد بن عبد الحليم النيسابورى ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة 2/316، وأبو نعيم فى دلائل النبوة 1/270 رقم 203 وفيه الكلبى متروك، وأخرجه ابن إسحاق مرسلاً عن عروة بن الزبير ينظر : السيرة النبوية لابن هشام 2/20 رقم 407، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 1/268 رقمى 201، 202 0

5 () الآية 95 الحجر، والحديث أخرجه الطبرانى فى الأوسط 7/150 رقم 7127، وأخرجه البزار بنحوه، وفيه يزيد عن درهم ضعفه ابن معين، ووثقه الفلاس. كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/46 قلت : فالإسناد حسن أهـ 0

وصدق رب العزة : **أليس الله بكاف عبده**[1] بلى كاف عبده!!
وقال : **"إن الله أمرنى أن أُحَرِّقَ قريشاً،** فقلت رب إذاً يَثْلَغُوا[2] رأسى! فَيَدعُوهُ خُبْزَةً، قال : استخـرجهـم كمـا

---

1 () الآية 36 الزمر 0
2 () الثلغ : الشدخ. وقيل هو ضربك الشئ الرطب بالشئ اليابس حتى ينشدخ. النهاية 1/214 0

استجرجوك واغزهم نغزك[1]، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله..."[2]0

وسياق هذا الحديث فى صحيح مسلم يشعر على طوله بأن التحديث به كان بعد الهجرة النبوية، وقد تنبه الإمام القرطبى إلى ذلك، فنزع هذه الجملة من سياق مسلم، ووضعها فى موضعها عند كلامه على آية : ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾[3] باعتبارها مكية[4] وهذا هو الصواب عندى، وعند غيرى[5] والله أعلم 0

وتأكيداً لخصوصية عصمته ﷺ من القتل فى مكة، حتى على فرض مدنية آية ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ إليك هذه النماذج :

1- ما نزل فى قوله تعالى : ﴿**أرأيت الذى ينهى عبداً إلى صلى. أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذب وتولى. ألم يعلم بأن الله يرى. كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية. ناصية كاذبة خاطئة. فليدع ناديه. سندع الزبانية. كلا لا تطعه واسجد واقترب**﴾[6] فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال أبو جهل : هل يعفر[7] محمد وجهه بين أظهركم؟ قال : فقيل نعم. فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه فى التراب، قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبته، قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقى بيديه، قال : فقيل له : مالك؟

---

1 () أى نعينك 0
2 () جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجنة، باب الصفات التى يعرف بها أهل الجنة 9/214، 215 رقم 286 من حديث عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه 0
3 () الآية 67 المائدة 0
4 () الجامع لأحكام القرآن 6/243، 244 0
5 () ذهب إلى ذلك فضيلة الشيخ محمد عرجون فى كتابه محمد رسول الله 2/478 □□ □□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □ □□ □□□ □□□□□□□ □ □□□ — □□□ □
6 () الآيات 9 – 19 العلق 0
7 () العفر هو التراب، والمعنى : أيسجد محمد أمامكم؟ ينظر : النهاية فى غريب الحديث 3/236 0

فقال: إن بينى وبينه لخندقاً من نار وهولا، وأجنحة، فقال رسول الله : **"لو دنا لاختطفته الملائكة عضواً عضواً"** قال : فأنزل الله عز وجل – لا ندرى فى حديث أبى هريرة أو شئ بلغه - **كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى**... الآيات[1]0

2- وفى رواية عن أبى عباس رضى الله عنهما قال فى قوله تعالى : **سندع الزبانية** قال : قال : أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلى، لأطأن عنقه، فقال النبى **"لو فعل لأخذته الملائكة عياناً"**[2] لقد ظن أبو جهل فرعون هذه الأمة أنه يستطيع أن ينال من رسول الله ، بل ظن أنه يستطيع أن يقتله، لكنه ما إن اقترب من رسول الله إلا سلط الله عليه ما أخافه كل الخوف، وأفزعه كل الفزع، مما جعله يعود خاسئاً، يجرى إلى الخلف صاغراً، وهكذا يعصم الله عز وجل رسوله ، ويهين أعداءه[3]0

قال الحافظ ابن حجر : "وإنما شدد الأمر فى أبى جهل، ولم يقع مثل ذلك لعقبة بن أبى معيط، حيث طرح سلى الجزور على ظهره وهو يصلى"[4] لأنهما وإن اشتركا فى مطلق الأذية حالة صلاته، لكن زاد أبو جهل بالتهديد، وبإرادة وطء العنق الشريف، وفى ذلك من المبالغة ما اقتضى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك، ولأن سلى الجزور لم يتحقق نجاستها، وقد عوقب عقبه بدعائه عليه وعلى من شاركه فى فعله فقتلوا يوم بدر"[5]0

---

1 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله تعالى : [illegible] 9/153 [illegible]

2 () أخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير، باب سورة اقرأ باسم ربك 5/413 رقم 3348 وقال : حسن صحيح غريب، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية 8/595 رقم 4958، وينظر : السيرة النبوية لابن هشام 1/375 نص رقم 284 ودلائل النبوة لأبى نعيم 1/208 رقم 158 "ما حدث لأبى جهل حين هم بإلقاء الحجر على الرسول [illegible]"

3 () المدخل إلى السنة النبوية ص 224 0

4 () ينظر الحديث فى البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلى قذرة أو جيفة لم تفسد عليه صلاته 1/416 رقم 240، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد باب ما لقى النبى [illegible] 12/[illegible]

5 () فتح البارى 8/596 رقم 4958 0

3- ما نزل فى قوله تعالى : ﴿**تبت يدا أبى لهب وتب**﴾[1] فعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿**تبت يدا أبى لهب**﴾ جاءت امرأة أبى لهب[2] ورسول الله ﷺ جالس، ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر : لو تنحيت لا تؤذيك بشئ[3] فقال رسول الله ﷺ : **"إنه سيحال بينى وبينها"** فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر، فقالت : يا أبا بكر، هجانا صاحبك. فقال أبو بكر : لا، ورب هذه البنية ما نطق بالشعر، ولا يتفوه به، فقالت : إنك لمصدق، فلما ولت، قال أبو بكر رضى الله عنه : ما رأتك؟ قال : **"لا، مازال ملك يسترنى حتى ولت"**[4]0

4- وروى عنه أيضاً قال : "إن الملأ من قريش اجتمعوا فى الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ونائلة وإساف، لو قد رأينا محمداً لقمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة[5] تبكى،

---

1 () الآية الأولى المسد 0

2 () هى بنت حرب بن أمية، أخت أبى سفيان والد معاوية، يقال إن اسمها أروى، وتكنى أم جميل، وتلقب بالعوراء، ويقال لم تكن عوراء، وإنما قيل لها ذلك لجمالها. ينظر : فتح البارى 8/610 رقم 4973 0

3 () جاء فى حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها كانت فى يدها "فهر" وهو بالكسر الحجر، وهو قدر ما يملأ الكف. ينظر : القاموس المحيط 2/11، وسيأتى تخريج حديث أسماء شاهداً لحديث ابن عباس 0

4 () أخرجه البزار وأبو يعلى نحوه، وقال البزار حسن الإسناد، وتعقبه الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/144، قائلاً : فيه عطاء بن السائب، وقد اختلط، ووافق البزار فى حسن إسناده، الحافظ فى فتح البارى 8/610 رقم 4973، وابن كثير فى تفسيره 8/537، وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 1/194 رقم 141، وابن أبى شيبة فى مصنفه 11/ 498 رقم 11817، وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها أخرجه الحاكم فى المستدرك 2/393 رقم 3376 وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، والحميدى فى مسنده 1/153، 154 رقم 323، وللحديث شاهد ثانى من حديث زيد بن أرقم رضى الله عنه أخرجه الحاكم فى المستدرك 2/573 رقم 3945، وصحح إسناده على علة فيه بذكر يزيد بن زيد بدلاً من زيد بن أرقم – ووافقه الذهبى 0

5 () لها ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص 208 رقم 1107، وأسد الغابة 7/216 رقم 7183 والاستيعاب 4/1893 رقم 4057،

حتى دخلت على النبى فقالت : هؤلاء الملأ من قومك قد تعاقدوا عليك، لو قد رأوك لقاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من ديتك، فقال : **يا بنيه ائتنى بوضوئى**، فتوضأ، ثم دخل المسجد، فلما رأوه قالوا : هاهو ذا، وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم فى صدورهم، وعقروا فى مجالسهم، ولم يرفعوا إليه أبصارهم، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله حتى قام على رؤوسهم، فأخذ حفنة من تراب، فقال : شاهت الوجوه، ثم حصبهم، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر"[1]0

5- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فى قوله تعالى : **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**[2] قال : "تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم : إذا أصبح فاثبتوه بالوثاق – يريدون النبى - وقال بعضهم : بل اقتلوه. وقال بعضهم : بل اخرجوه. فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات على بن أبى طالب رضى الله عنه على فراش رسول الله تلك الليلة، وخرج رسول الله حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليّاً يحسبونه النبى : فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً رد الله تعالى مكرهم، فقالوا : أين صاحبك هذا؟ قال : لا أدرى. فاقتفوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا فى الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا : لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال"[3]0

والإصابة 4/377 0

[1] () أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 1/192 رقم 139، وأحمد فى مسنده 1/368، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/228 رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، وقال الشيخ أحمد شاكر فى حاشيته على المسند بل كلاهما صحيح 3/228 رقمى 2762، 4385، والحاكم فى المستدرك 3/170، 171 رقم 4742 وقال : صحيح الإسناد، وسكت عنه الذهبى 0

[2] () الآية 30 الأنفال 0

[3] () أخرجه أحمد فى مسنده 1/348، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/27 رواه أحمد والطبرانى وفيه عثمان بن عمرو الجزرى، وثقة ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، وحسن إسناد أحمد الحافظ فى فتح البارى 7/278 رقم 3905، وحسنها ابن كثير فى البداية والنهاية 3/179 قال بعد أن ذكر رواية أحمد فى مسنده "هذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روى فى قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله عز وجل لرسوله "□□ □ □□□□□□ □□□ □□□□□□ (□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□)

فتأمل ما فى الروايات السابقة من عصمة المولى عز وجل لرسوله من محاولات قتله التى همَّ بها كفار قريش، فرادى تارة، وجماعات تارة أخرى، والتى كان آخرها جماعة فى مكة، ليلة هجرته إلى المدينة المنورة، حيث رد كيدهم إلى نحورهم، وعادوا إلى ديارهم، كحالهم فى كل مرة يجرون أذيال خزى الله عز وجل لهم 0

6- هذا ولم تكن عصمة المولى عز وجل لرسوله فى ليلة الهجرة قاصرة على نجاته من بين أيدى صناديد الكفر فى مكة، وإنما امتدت عنايته عز وجل ورعايته لرسوله ، وهو فى طريقه إلى المدينة، وفى غار ثور، كما جاء فى الحديث السابق، من نسج العنكبوت على باب الغار، فكان قولهم : "لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه"0

ولم تكن عصمة الله عز وجل لرسوله فى غار ثور، قاصرة على العنكبوت، وإنما امتدت إلى الشجرة التى أنبتها الله عز وجل على فهم الغار، تستر رسول الله ، وصاحبه رضى الله عنه، وإلى حمامتين وحشيتين وقفتا على فم الغار 0

فعن أبى مصعب المكى[1] قال : أدركت أنس بن مالك، وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة، رضى الله عنهم، فسمعتهم يحدثون : أن النبى ليلة الغار أمر الله سبحانه، شجرة فنبتت على وجه الغار فسترته، وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار، وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل، بعصيَّهم وحرْباتهم وسيوفهم، حتى إذا كانوا من النبى ، قدر أربعين ذراعاً جعل بعضهم ينظر فى الغار، فقال : رأيت حمامتين بفم الغار، فعرفت أنه ليس فيه أحد، فسمع النبى ما قال؛ فعرف أن الله عز وجل قد درأ بهما، فدعا لهن وسمَتَ[2] عليهن، وفرض جزاءَهن، ونزلن بالحرم"[3]0

[illegible]

1 () روى عن زيد بن أرقم، والمغيرة، وأنس، بحديث الغار، وعنه عون، ويقال عوين بن عمرو القيسى، قال العقيلى : مجهول، ذكره فى ترجمة عون. لسان الميزان 8/19 رقم 10678، والضعفاء الكبير للعقيلى 3/422 فى ترجمة عوين رقم 1462، وكذلك الذهبى فى الميزان 4/307 رقم 6535، والجرح والتعديل 9/441 رقم 2220 0

2 () أى ادعى لهن بالبركة – ينظر : النهاية فى غريب الحديث 2/357 0

3 () أخرجه ابو نعيم فى دلائل النبوة 2/325 رقم 229، والبيهقى فى دلائل النبوة 2/481، 482، وابن سعد فى الطبقات الكبرى

وهذا الحديث على غرابة سنده، فلا غرابة فى متنه، وما فيه قليل فى كرامته ، وجائز فى العقل، مؤيد بمطلق قوله تعالى : **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم**[1] فتأمل ما فى الآية الكريمة من نسبة نصر رسول الله إلى الله عز وجل، وتأييده بجنود لا يراها أحد، تجد أنه لا يوجد ما يمنع أن يكون ما ورد فى الحديث الغريب السند من الحمامتين الوحشيتين، والشجرة، والعنكبوت من جنود الله تعالى!!

7- وامتدت عصمة الله عز وجل لنبيه فى غار ثور إلى أمره عز وجل ملائكته أن تستر نبيه وصاحبه عن أعين المشركين، فكان وصحابه يريان المشركين، والمشركون لا يرونهما 0

فعن أبى بكر رضى الله عنه قال : "كنت مع النبى فى الغار، فرأيت آثار المشركين، قلت يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال : **"ما ظنك باثنين الله ثالثهما"**[2] **"لا تحزن إن الله معنا"**[3] وهذا اليقين من النبى بعصمة الله عز وجل له، تجلى فى ملائكة الله عز وجل التى سترتهم وهم فى الغار 0

1/228، وفيه زيادة قصة العنكبوت، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية 3/179، 180 وقال رواه ابن عساكر، وذكر إسناده ثم قال : هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه، وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد 6/53 إلى البزار والطبرانى وقال : فيه جماعة لم أعرفهم، وأخرجه العقيلى فى الضعفاء الكبير 3/422 ترجمة عوين القيسى رقم 1462 والحديث يعضده القرآن الكريم على ما ذكرته فى المتن أهـ 0

[1] () الآية 40 التوبة 0

[2] () أخرجه البخارى 0بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب ثانى اثنين إذ هما فى الغار 8/176، 177 رقم 4663 0

[3] () جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الزهد، باب حديث الهجرة 9/373 رقم 2009 0

فعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها[1] : "وطافوا فى جبال مكة حتى انتهوا إلى الجبل الذى فيه رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر : يا رسول الله إن هذا الرجل يرانا – وكان مواجهة– فقال : **كلا! إن ملائكة تسترنا بأجنحتها**، فجلس ذلك الرجل يبول مواجهة الغار، فقال النبى ﷺ: **"لو كان يرانا ما فعل هذا"**[2]0

8- وتمتد عناية الله عز وجل وعصمته لنبيه ﷺمن محاولة سراقة بن مالك[3]النيل من رسول الله ﷺ، بالقتل أو الأسر للحصول على الدية التى رصدها كفار قريش (مائة ناقة لمن يأتى برسول الله ﷺ" قتيلاً أو أسيراً وكما جاء على لسان سراقة بعد أن تتبع أثرهم قال : "حتى إذا دنوت منهم، (أى اقترب من رَكْبِه ﷺ) فعثرت بى فرسى، فخررت عنها، فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام[4] فاستقسمت بها : أضرهم أم لا؟ فخرج الذى أكره، فركبت فرسى – وعصيت الأزلام – تقربِّ بى، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ[5] وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت فلم تكد

---

1 () صحابية جليلة لها ترجمة فى : أسد الغابة 7/7، 8 رقم 6705، والاستيعاب 4/1781 رقم 3226، وتاريخ الصحابة ص 40 رقم 88، والإصابة 4/228 رقم 10798 0

2 () أخرجه الطبرانى وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب، وثقة ابن حبان وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 6/53، 54 – فالإسناد حسن 0

3 () أسلم بعد فتح مكة، وحسن إسلامه، له ترجمة فى : أسد الغابة 2/412 رقم 1955، والاستيعاب 2/581 رقم 916، وتجريد أسماء الصحابة 1/210، ومشاهير علماء الأمصار ص 40 رقم 170، والإصابة 2/19 رقم 3122 0

4 () الزُّلَم، والزَّلَم، واحد الأزلام : وهى القداح التى كانت فى الجاهلية عليها مكتوب الأمر والنهى، افعل ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها فى وعاء له، فإذا أراد سفراً أو زواجاً أو أمراً مهماً، أدخل يده فأخرج منها زلماً، فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرج النهى كف عنه ولم يفعله، وهذا ما فعله سراقة إلا أن الزلم خرج بالنهى عن الإضرار بركب رسول الله ﷺ [illegible]

5 () وكانت تلك القراءة منه [illegible] 7/293، 294 [illegible]

تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان[6] ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذى أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية. وأخبرتهم أخباراً ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآنى[2] ولم يسألانى إلا أن قال : **أخف عنا**. فسألته أن يكتب لى كتاب أمن[3]، فأمر عامر بن فهيرة رضى الله عنه[4] فكتب فى رقعة من آدم[5] ثم مضى رسول الله 0[6]''

فتأمل كيف عصم رب العزة رسوله من محاولة سراقة قتله أو أسره، ليفوز بالدية التى رصدت من كفار قريش، إذ ما اقترب من ركب رسول الله حتى عثرت به فرسه، مرة تلو الأخرى بعد إصراره على تتبع ركبه ، حتى إذا ما سمع دعاءه بأن يصرعه، أو يكفيه إياه بما شاء، إلا وتتعثر به فرسه للمرة الثالثة، حتى أن يدا فرسه فى هذه المرة غاصت فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، وبعد محاولات منه لاستنهاضها، إذ به يرى على يديها أثر دخان من غير نار ساطع فى السماء،وهنا أيقن سراقة بأن رسول الله محفوظ، ومعصوم منه،

---

1 () أى دخان من غير نار، وجمع عثان، عواثن، على غير قياس، ينظر : النهاية فى غريب الحديث 3/166، وفتح البارى 7/284 رقم 3906 0

2 () أى لم يأخذا منى شيئاً، يقال رزأته أرزؤه، وأصله النقص. النهاية 2/199 0

3 () أى كتابا يكون موادعة، وآية بينه وبين رسول الله [illegible]

4 () وفى رواية ابن إسحاق أن الذى أمر بالكتابة الصديق رضى الله عنه ينظر : السيرة النبوية لابن هشام المواضع السابقة. وعامر بن فهيرة صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة 3/134 رقم 2724، والاستيعاب 2/796 رقم 1338 0

5 () هو باطن الجلد الذى يلى اللحم، مختار الصحاح ص 10، والقاموس المحيط 4/72، وفى رواية لابن إسحاق "فكتب لى كتاباً فى عظم أو فى رقعة أو فى خرقة، ثم ألقاها إلىَّ فأخذته فى كنانتى. السيرة النبوية لابن هشام 2/112 نص رقم 516 0

6 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبى [illegible]

كما أيقن فى نفس الوقت، أنه نبى الله حقاً، وأن دينه سيظهر، فما كان منه إلا أن سأل رسول الله أن يكتب له كتاب أمان، فأعطاه إياه، ولم يسأله رسول الله سوى أن يقف فى مكانه، ولا يترك أحداً يلحق برَكْبِهِ ، ففعل سراقة، وهنا تتجلى إرادة المولى عز وجل ومشيئته فى عصمة رسول الله بتغير حال سراقة "إذ كان فى أول النهار جاهداً على رسول الله ، وكان آخر النهار مسلحة له"[1] أى حارساً له بسلاحه، بل وبلسانه أيضاً كما جاء فى رواية ابن سعد : "أنه لما رجع، قال لقريش : قد عرفتم بصرى بالطريق وبالأثر، وقد استبرأت لكم، فلم أر شيئاً، فرجعوا"[2] وقال أيضاً رضى الله عنه رداً على أبى جهل لما بلغه موقفه هذا، ولامه فى تركهم أنشده :

أبا حكم والله لو كنت شاهـداً *** لأمـر جوادى إذ تسيخ قوائمه

عجبت ولـم تشـكك بـأن محمداً *** نبـى وبرهان فمن ذا يقاومه؟!

عليك بكف الناس عنه فإننى *** أرى أمره يوماً ستبدو معالمه[3]0

وبعد : فهل فى كل ما سبق من دلائل حفظ الله عز وجل وعصمته لرسوله من محاولات كفار قريش قتله، شك فى عصمته من القتل فى فترة مكة، حتى على فرض مدنية الآية الكريمة : **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**[4]؟!!0

إن خصوصية عصمة النبى فى بدنه الشريف من القتل، دلت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة فى مكة على ما سبق، وفى المدينة أيضاً0

وإليك نماذج من كفاية الله عز وجل وعصمته لرسوله من مؤامرات أعدائه لقتله أو النيل منه، فى المدينة المنورة :

---

1 () كما جاء فى حديث أنس عند البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبى 294 7/293
2 () الطبقات الكبرى 8/250 0
3 () ينظر : الروض الأنف للسهيلى 2/322، ودلائل النبوة للبيهقى 2/489، ودلائل النبوة لأبى نعيم 2/337 رقم 237 0
4 () الآية 67 المائدة 0

1- ما حدث بعد غزوة بدر الكبرى من محاولة عمير بن وهب[1] قتل النبى ﷺ، وكتمه ذلك سراً بينه وبين صفوان بن أمية[2] على أن يؤدى عنه صفوان دينه، ويعوله فى أهله وعياله، ولا ينقسهم شيئاً ما بقوا، فلما قدم عمير المدينة، ودخل على رسول الله ﷺ وكان ابنه "وهب" وقع أسيراً يوم بدر، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال : **أرسله يا عمر، أدن يا عمير**، فدنا، ثم قال : انعموا صباحاً – وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم – فقال رسول الله ﷺ : "قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة" فقال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد، قال : "فما جاء بك يا عمير؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه، قال : "فما بال السيف فى عنقك" قال : قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال : "أصدقنى ما الذى جئت له؟" قال : ما جئت إلا لذلك، قال: "بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت : لولا دين على، وعيال عندى، لخرجت حتى أقتل محمداً : فتحمل لك صفوان بن أمية، بدينك، وعيالك، على أن تقتلنى له، والله حائل بينك وبين ذلك" قال عمير : أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحى، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنى لأعلم أن ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ : **"فقهوا أخاكم فى دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره" ففعلوا**"[3]0

فتدبر ما فى القصة السابقة، من يقين رسول الله ﷺ بعصمته من القتل، بعد أن أخبر عمير بما كان بينه وبين صفران من اتفاق على قتله ﷺ، وإعلامه بأن الله عز وجل حائل بينه، وبين ما جاء من أجله 0

---

1 () أسلم وحسن إسلامه، له ترجمة فى : أسد الغابة 4/288، 289 رقم 4096، والاستيعاب 3/1221 – 1223 رقم 1997، والإصابة 5/36 رقم 6073، وتاريخ ا لصحابة ص 135 رقم 660 0

2 () أسلم وحسن إسلامه، له ترجمة فى : أسد الغابة 3/24 رقم 2510، والاستيعاب 2/718 رقم 1214، والإصابة 2/187 رقم 4093 0

3 () أخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) 2/339، 340 نص رقم 827 من حديث عروة بن الزبير مرسلاً، والقصة أخرجها الطبرانى فى الكبير 17/56، 57 عن عروة أيضاً وعن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلاً، وإسنادها جيد كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/286، 287، وأخرجها أيضاً البيهقى فى دلائل النبوة 3/147–149،وينظر:الإصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر 5/37 0

2- وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه أن رجلاً من محارب يقال له غورث بن الحارث قال لقومه: اقتل لكم محمداً، فقالوا: **كيف تقتله؟** قال: أفتك به، فأقبل إلى رسول الله وهو جالس، وسيفه فى حجره، فقال: يا محمد انظر إلى سيفك هذا، قال: **نعم،** فأخذه واستله وجعل يهزه ويهم، فيكبته الله، فقال: يا محمد أما تخافنى؟ قال: **لا، وما أخاف منك؟** قال: أما تخافنى، وفى يدى السيف؟ قال: **لا، يمنعنى الله منك،** ثم أغمد السيف، ورده إلى رسول الله، فأنزل الله عز وجل **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾**[1]

3- وقيل فى سبب نزول هذه الآية، ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن عمرو بن أمية الضمرى[2] حين انصرف من بئر معونة[3] لقى رجلين كلابيين معهما أمان من رسول الله، فقتلهما ولم يعلم أن معهما أماناً من النبى، ففداهما رسول الله ومضى إلى بنى النضير، ومعه أبو بكر وعمر وعلى، فتلقوه بنو النضير فقالوا: مرحباً يا أبا القاسم؛ ماذا جئت له؟ قال: **رجل من أصحابى قتل رجلين من كلاب معهما أمان منى، طلب منى ديتهما، فأريد أن تعينونى،** قالوا: نعم والحب لك والكرامة يا أبا القاسم، اقعد حتى نجمع لك، فقعد رسول الله تحت

---

1 () الآية 11 المائدة، والحديث أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 1/195 رقم 145 من طريق ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) 3/186،187 رقم 1332، وفى سنده عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة فى عصره ومفتيها، كان زاهداً ثم أحدث فتركه الأئمة مات سنة 143هـ وقيل 144هـ، له ترجمة فى: الضعفاء للنسائى ص 184 رقم 469، والضعفاء لأبى نعيم ص 118 رقم 164، وتاريخ بغداد 12/166 رقم 6652، ووفيات الأعيان 1/130 رقم 476، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب غزوة ذات الرقاع 7/490، 491 رقمى 4135،4136، ومسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف 3/389 رقم 843، والحاكم فى المستدرك 3/31،32 رقم 4322 وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى 0

2 () صحابى جليل له ترجمة فى: أسد الغابة 4/181 رقم 3862، والرياض المستطابة ص 214،215 0

3 () مكان فى الطريق الداخلى بين مكة والمدينة 0 معجم البلدان 5/159، وسرية بئر معونة، وتعرف أيضاً بسرية القراء كانت فى صفر سنة 4 هـ 0 ينظر البداية والنهاية 4/73، والسيرة النبوية لابن هشام 3/164 نص رقمى 1295،1296 0

الحصن، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعلى بين يديه، وقد توامر بنو النضير أن يطرحوا عليه حجراً[1]، وقال بعض أهل العلم: بل ألقوه، فأخذه جبرئيل عليه السلام، وأخبر النبى بما توامر الفسقة، وما هموا به، فقام رسول الله واتبعه أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم، فأنزل الله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم**[2]، وفى رواية عن عروة بن الزبير زاد: "وأمر رسول الله بإجلائهم، لما أرادوا برسول الله، فلما أخذهم بأمر الله وأمرهم أن يخرجوا من ديارهم، فيسيروا حيث شاؤوا، قالوا: أين تخرجنا، قال : **إلى الحشر**"[3]0

فتأمل ما فى حديث جابر من عصمة المولى عز وجل لنبيه من الإعراب حيث أغمد السيف ورده هو بنفسه إلى رسول الله بعد أن أخذ يراجع رسول الله فى قتله، فما الذى أحوجه إلى مراجعته مع احتياجه إلى الحظوة عند قومه بقتله؟!

إن مراجعة الأعرابى لرسول الله فى الكلام، دليل على أن الله عز وجل منعه، بدليل ما ورد فى الحديث من تلويحه بالسيف، فيكبته الله 0

وفى جوابه "يمنعنى الله منك" إشارة إلى ذلك، ولذلك لما أعاد الأعرابى كلامه، لم يزده على ذلك الجواب، وفى ذلك غاية التهكم، وعدم المبالاة به، وفى ذلك دليل على قوة صبره وشجاعته، ويقينه بعصمة المولى عز وجل له 0

---

1 () جاء فى مغازى الواقدى ص 282، وسيرة ابن إسحاق، أن الذى هَمَّ بإلقاء الحجر (عمرو بن جحاش بن كعب النضيرى) ينظر: دلائل النبوة لأبى نعيم 2/491 رقم 427، والسيرة النبوية لابن هشام 3/170 نص رقم 1308 0

2 () الآية 11 المائدة، والحديث أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 2/489رقم 425، وابن جرير الطبرى فى تاريخه 2/551،552، وابن إسحاق أورده معضلاً (السيرة النبوية لابن هشام)3/170 نص رقم 1308، والبيهقى فى دلائل النبوة 3/354،355، وابن عبدالبر فى الدرر فى اختصار المغازى والسير ص 164،165 وابن كثير فى البداية والنهاية 4/76 ثلاثتهم عن ابن إسحاق 0

3 () أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 2/490،491 رقم 426 مرسلاً عن عروة 0 وينظر السيرة النبوية لابن هشام 3/172 نص رقم 1313، وشرح الزرقانى على المواهب 2/510،529-533 0

وفى حديث ابن عباس بيان لعصمة رسول اللهﷺ من محاولة يهود بنو النضير قتلهﷺ، كما فعل أسلافهم مع أنبيائهم سابقاً، ولكن عصمة رب العزة، سواء بتلقى جبريل الحجر قبل أن يقع عليهﷺ، أو بإخباره بمؤامرتهم، وبما هموا به، وقيامهﷺ قبل أن يلقوا الحجر 0 ففى تلك القصة تأكيد لخصوصية عصمتهﷺ فى بدنه الشريف من القتل، كما قال عز وجل: ﴿**وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين**﴾[1] فقوله "من قبل" بيان لخصوصية عصمته فى بدنه من القتل لأن اليهود وإن وقع منهم قبلهﷺ قتل أنبياءهم بإذن الله تعالى، إلا أنهم مع رسول اللهﷺ، لم ولن يفلحوا فى قتله مهما حاولوا، بدليل الآية الكريمة، وهو ما أكدته السنة المطهرة كما فى هذه القصة، وكما فى الحديث التالى 0

4- عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن امرأة يهودية[2] أتت رسول اللهﷺ بشاه مسمومة، فأكل منها 0 فجئ بها إلى رسول اللهﷺ فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردت لأقتلك 0 قال: **"ما كان الله عزوجل ليسلطك على ذاك"** قال: أو قالﷺ: **"علىَّ"** قال قالوا ألا نقتلها؟ قال: **لا**[3]، قال: فما زلت أعرفها فى لهوات[4] رسول الله0[5]ﷺ

ففى قولهﷺ **"ما كان الله ليسلطك على ذاك أو قال:** علىَّ" فيه بيان عصمتهﷺ من الناس كلهم، كما قال الله تعالى: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾[6] وهى معجزة لرسول اللهﷺ فى سلامته من السم المهلك لغيره،

---

1 () الآية 91 البقرة 0

2 () هى زينب ابنة الحارث، امرأة سلام بن مشكم، كما فى السيرة النبوية لابن هشام 3/346 نص رقم 1566 0

3 () وذلك قبل موت بشر بن البراء من تلك الأكلة المسمومة، فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصاً 0 قال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول اللهﷺ [illegible]:
[illegible]

4 () جمع لهاة، وهى اللحمات فى سقف أقصى الفم 0 النهاية فى غريب الحديث 4/243 0

5 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب السلام، باب السم 7/433 رقم 2190، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين 5/272رقم 2617 0

6 () جز من الآية 67 المائدة 0

وفى إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة، وكلام الشاة له، فقد جاء فى غير مسلم، أنه قال: **"ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتنى أنها مسمومة"**[1]0

5- وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه[2] أنه كان مع رسول الله إذ جاءه رجل بفرس له يقودها عقوق[3] ومعها مهرة لها يتبعها فقال: من أنت؟ فقال: **"أنا نبى"** قال: ما نبى؟ قال "رسول الله" قال: متى تقوم الساعة؟ فقال رسول الله: **"غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله"** قال: أرنى سيفك، فأعطاه النبى سيفه، فهزه الرجل ثم رده عليه، فقال رسول الله **"أما أنك لم تكن تستطيع الذى أردت"**[4] زاد الطبرانى فى روايته، ثم قال رسول الله: **"إن هذا أقبل، فقال آتية فاسأله، ثم أخذ السيف، فأقتله، ثم أغمد السيف"**[5]0

فتأمل يقين رسول الله بعصمته من القتل، إذ أخبره ربه عز وجل بحال الرجل القادم عليه، وأنه سيسأل رؤية سيفه ليقتله به، ومع ذلك عندما يأتى الرجل يعطيه النبى السيف عندما سأله، ويهز الرجل السيف محاولاً قتل رسول الله، ولكن يكبته الله ويمنعه، فلا يملك إلا رد السيف إلى رسول الله ويخبره بما كان فى نفسه من نية قتله، وأنه لم يكن يستطيع ذلك، لعصمة الله له0

---

1 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات، أيقاد منه 4/174 رقم 4512 وفيه خالد بن خلى الحمصى- صدوق- كما قال الحافظ فى التقريب 1/257 رقم 1629 وبقية رجاله ثقات- فالإسناد حسن، وأخرجه ابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام 3/346 نص رقم 1566 0

2 () صحابى جليل له ترجمة فى: أسد الغابة 2/517 رقم 2155، والاستيعاب 2/639 رقم 1016، ومشاهير علماء الأمصار ص 28 رقم 80، والإصابة 2/66 رقم 3374 0

3 () أى حامل، يقال عقت له فرسه، أى: حملت 0 النهاية فى غريب الحديث 3/251 0

4 () أخرجه الحاكم فى المستدرك 1/49 رقم 14 وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى 0

5 () أخرجه الطبرانى فى الكبير 7/20 ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/227 0

6- وعن جعدة بن خالد بن الصَّمة رضى الله عنه[1] قال: شهدت النبى وأتى برجل، فقيل يا رسول الله، هذا أراد أن يقتلك، فقال له النبى : **لم تراع، لم تراع**[2] **لو أردت ذلك لم يسلطك الله على قتلى"**[3]0

7- وعن فضالة بن عمير الليثى رضى الله عنه[4] قال: أردت قتل النبى، وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنوت منه، قال رسول الله **"أفضالة"**؟ قلت: نعم! فضالة يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قلت: لا شئ، كنت أذكر الله عز وجل، فضحك النبى ثم قال: **"استغفر الله"** ثم وضع يده على صدرى، فسكن قلبى، فوالله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شئ أحب إلىَّ منه"[5] نعم: هكذا النبوة يقين بعصمة الله تعالى وحفظه، وعلم بالغيب، ورحمة وسكن، وهداية للعصاة 0

8- وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه[6] قال: كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله أقود به، وعمار[7] يسوقه، أو أنا أسوقه، وعمار يقوده، حتى إذا كنا بالعقبة[8]، فإذا أنا باثنى عشر راكباً، قد اعترضوه فيها، قال : فأنبهت رسول الله بهم، فصرخ بهم فولوا مدبرين، فقال لنا رسول الله ، **هل عرفتم**

---

1 () صحابى جليل له ترجمة فى: الاستيعاب 1/241 رقم 326، وأسد الغابة 1/537 رقم 750، وتجريد أسماء الصحابة 1/84 0

2 () كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيساً، وإظهاراً للرفق بالمخاطب اهـ فتح البارى 10/472 رقم 6033 0

3 () أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 1/194 رقم 143، وأحمد فى مسنده 3/471، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/226 رواه أحمد والطبرانى باختصار ورجاله رجال الصحيح غير أبى إسرائيل الجشمى وهو ثقة، وأخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة 1/537،538 رقم 750 0

4 () أسلم وحسن إسلامه، له ترجمة فى: أسد الغابة 4/347 رقم 4233، والاستيعاب 4/1263 رقم 2083، والإصابة 5/211 رقم 7015 0

5 () أخرجه ابن هشام فى السيرة النبوية 4/40،41 نص رقم 1692، وأورده ابن كثير فى البداية والنهاية 4/306، وابن عبدالبر فى الدر فى اختصار المغازى ص 222 كلاهما نقلاً عن ابن هشام 0

6 () صحابى جليل له ترجمة فى: تاريخ الصحابة 73 رقم 267، والرياض المستطابة ص 49،50، وأسد الغابة 1/706 رقم 1113، والاستيعاب 1/334 رقم 492 0

7 () هو عمار بن ياسر صحابى جليل له ترجمة فى: الرياض المستطابة ص 211-213، ومشاهير علماء الأمصار ص 54 رقم 266، والاستيعاب 3/1135 رقم 1863، وأسد الغابة 4/122 رقم 3804 0

القوم؟ قلنا : لا، يا رسول الله، كانوا متلثمين، ولكنا قد عرفنا الركاب، قال : **هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا؟** قلنا : لا، قال : **أرادوا أن يزحموا رسول الله فى العقبة، فليقوه منها.** قلنا : يا رسول الله أولا تبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال : **لا، أكره أن تحدث العرب بينها : أن محمداً قاتل بقوم، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم،** ثم قال : **اللهم ارمهم بالدبيلة**[1]. قلنا : يا رسول الله! وما الدبيلة؟ قال : **شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك"**[2]0

وللحديث شاهد صحيح أخرجه أحمد فى مسنده عن أبى الطفيل رضى الله عنه[3]0

وأصل هذه القصة أخرجها الإمام مسلم فى صحيحه مختصرة عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى قال : **"فى أمتى اثنا عشر منافقاً، لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها، حتى يلج الجمل فى سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة. سراج من النار يظهر فى أكتافهم حتى ينجم من صدورهم"**[4] وكان حذيفة رضى الله عنه على علم بأسمائهم من رسول الله دون غيره من الصحابة[5]، ولما سئل رضى الله عنه : "كيف عرفت المنافقين، ولم يعرفهم أحد من أصحاب رسول الله أبو بكر ولا عمر؟ قال : إنى كنت أسير خلف رسول الله ، فنام على راحلته، فسمعت ناساً منهم يقولون : لو طرحناه عن راحلته، فاندقت عنقه فاسترحنا منه، فسرت بينه وبينهم، وجعلت أقرأ وأرفع صوتى، فانتبه النبى ، فقال : **من هذا؟** فقلت حذيفة، قال : **من هؤلاء خلفك**؟ قلت : فلان وفلان حتى عددت أسماءهم، قال : **وسمعت ما قالوا**؟ قلت : نعم، ولذلك سرت بينك وبينهم، فقال : **إن**

---

8 () واحدة عقبات وهى الجبال، والمراد مكان مرتفع 0 ينظر: مختار الصحاح ص 444، والقاموس المحيط 1/106 0

1 () هى خراج ودمل كبير تظهر فى الجوف فتقتل صاحبها غالباً. النهاية فى غريب الحديث 2/94 0

2 () أخرجه البهيقى فى دلائل النبوة 5/260، 261، والطبرانى فى الأوسط 8/102 رقم 8100، وفيه عبد الله بن سلمة، وثقة جماعة، وقال البخارى لا يتابع على حديثه، وفى الصحيح بعضه. كذا قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/109، 110 0

3 () مسند أحمد 5/453، 454 ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 6/195 وأخرجه أيضاً الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/110 0

4 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم 9/137 رقم 2779 0

5 () ولهذا كان رضى الله عنه يقال له "صاحب السر الذى لا يعلمه غيره" ينظر : تفسير القرآن العظيم 4/123، وزاد المعاد 3/548 0

هؤلاء فلاناً وفلاناً، حتى عدد أسماءهم، منافقون، لا تخبرن أحداً"[6]، وفيهم أنزل قوله تعالى : **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا**0[2]

إن فى تلك الآية الكريمة يمتن رب العزة على نبيه ومصطفاه بعصمته من مؤامرة نفراً من المنافقين هموا بقتله ، وهو عائد من تبوك فى طريقه إلى المدينة، بطرحه من فوق عقبة فى الطريق، وقد جمعهم رسول الله وهم اثنا عشر منافقاً، وأخبرهم بقولهم، وبما هموا به من قتله، ولكنهم حلفوا بالله ما قالوا، وتركهم رسول الله وتجاوز عنهم، حتى لا يقال إن محمداً يقتل أصحابه، بعد أن أظهره الله عز وجل على أعداءه، ولكن مع ذلك لحقتهم لعنة الله فى الدنيا، وموتهم شر ميتة بالدبيلة، وفى الآخرة لهم عذاب جهنم، جزاء نفاقهم وما همو به من قتله ، ولم ينالوا ذلك لعصمة رب العزة له 0

وبعد : فما ذكر من هذه النماذج الصحيحة فى عصمته من القتل، غنىٌ عن غيره مما لم يذكر من الصحيح، أو ورد ضعيفاً0

وإذا تقرر هنا فى هذا الفصل تفصيل دلائل عصمته فى عقله وبدنه من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، فقد حان الآن بيان شبهات الطاعنين فى سلامة عقله وبدنه والرد عليها، فإلى تفصيل ذلك فى الفصل التالى 0

---

1 () أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 2/528 رقم 456، والطبرانى فى الكبير وفيه : مجالد بن سعيد وقد اختلط، وضعفه جماعة، كذا قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/109، قلت : ولكنه توبع؛ حيث أصل حديثه فى صحيح مسلم وغيره 0

2 () الآية 74 التوبة، وسبب النزول، أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة 5/258، 259، عن ابن إسحاق، ونقله عنه ابن كثير فى البداية والنهاية 5/18 0